الطبري ومكانته العلمية

الدكتور عبد الكريم إبراهيم الجنابي

أن الطبري وهب نفسه بعد أن رحل في طلبه في كثير من الامصار والبلدان وجاب الآفاق سماعاً للشيوخ فكان كالقارىء الذي لا يعرف إلا القرآن وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو وكان عالماً بالعبادات جامعاً للعلوم [١] . فاشتهر في علوم التفسير والقراءات والحديث والفقه والتأريخ [٢] .

أبرز اهتمامته العلمية :

أولاً: العلوم الدينية

(أ) التفسير:

فعلم التفسير في عرف العلماء بيان معاني القرآن [٣] ، ينبغي أن يكون التفسير علماً متضمناً بقواعد كلية يستخرج بها معاني القرآن [٤] . وأفضى بعلمه في التفسير إلى كتابه (جامع البيان عن تأويل القرآن) [٥] . فجعل الطبري تفسيره ثلاثين جزءاً بعدد أجزاء القرآن وابتدأه بخطبة وقدم له برسالة في بيان الاعجاز وطرق القراءات وتفسير أسماء السور . وذكر فيه من كتب التفسير المصنفة الموثوقة . فاشتهر هذا التفسير وطار ذكره في الآفاق وكانت أبرز سماته :

١- أن اعتمد على المأثور عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن الصحابة وعن التابعين متبعاً طرق الاسناد الدقيقة [٦] .
٢- ونهى عن التفسير بالرأي وحمل على أصحابه - أي التفسير إلى آراء شخصية مجارية للأهواء السياسية والمذهبية والجنسية [٧] .
٣- دقة الاسناد : أميناً دقيقاً في ذكر السنة وتسجيل اسماء الرواة [٨] .
٤- كان يكثر من الأحاديث النبوية الشريفة .

٥- وقد أستعان بعلمه باللغة العربية وأساليب استعمالها [٩] .
٦- وكان يستشهد كثيراً بالشعر في بيان المعنى المراد من الكلمة [١٠] .

(ب) القراءات :

وهو علم مذاهب الأئمة في حركة قراءة آي القرآن والقراءات فكانت المشهورة وهي الصحيحة والمعتبرة والشاذة وهي الضعيفة . فالمشهورة هي المتواتر نقلها عن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) [١١] .

(ج) الحديث (السنّة) :

فعلم الحديث ينقسم على علمه ـ رواية وهو معرفة ألفاظ الحديث والأخير هو العلم المسمى بأصول الحديث [١٢] وهو السماع والقراءة والاجازة والمناولة والكتابة والوصية والوجادة .

فكان الطبري عالماً بالسنّة ودرس الحديث منذ صباه فكان عالماً بالسنن وكان إماماً بالحديث [١٣] .

(د) الفقــه :

فدرس الطبري المذاهب جميعاً وتخصص بفقه الشافعية وافتى به في بغداد عشرة سنين [١٤] . وكان للطبري مؤلف ((كتاب آداب القضاة))[١٥]. وقال الطبري في قضاء المرأة ، قال : (إن قضاء المرأة في جميع الأحكام جائز) [١٦] .

ثانياً: الطبري وعلم التأريخ

إنه في هذا العلم علمٌ ، فمنصفه المسمى (تأريخ الأمم والملوك) [١٧] أو (تأريخ الرسل والانبياء) [١٨] أو (تأريخ الطبري)[١٩] . يعد أرقى وأوفى عمل تأريخي بين مصنفات العرب، أقامه على منهج علمي ، فبلغت فيه الرواية مبلغاً من الثقة والأمانة والإتقان .

وقد فاق المؤرخون قبله ـ كابن أسحاق ، والواقدي ، وابن هشام ، وابن سعد، والبلاذري ٠٠٠ومهّد الطريق لمن أعقبه ـ كالمسعودي ، والخطيب البغدادي، وابن الأثير وغيرهم [٢٠] . ويمكن أن نقسم هذا التأريخ إلى قسمين :

الأول ما قبل الإسلام منذ الخليقة ولغاية البعثة النبوية الشريفة وتناول به الخليقة وهبوط آدم وثم عرض الانبياء عليهم السلام وخاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) والثاني الخاص بالإسلام والمسلمين فتناول عصر

الرسول الكريم والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وكذلك تناول الدولة العربية في العصر الأموي وكلك في العصر العباسي [٢١] .

ثالثاً: الطبري وعلوم اللغة

كان الطبري شاعراً بارعاً وقد اختار في تأريخه من عيون الشعر ما يشير إلى طول باعه في هذا الشأن وكان كثيراً ما يستشهد بالشعر في تفسيره للقرآن الكريم [٢٢] . وكان بارعاً في علم العروض فكان به يعرض أوزان المركبات الموزونة وهذا الفن من صغره [٢٣] . وكان يجيد علم اللغة وله في هذا العلم مناقشات في تفسيرهتدل على تمكنه وتذوقه في ذلك وقد بانَ فضله في ما ذكره في كتاب التفسير وكتاب التهذيب [٢٤] .

وكذلك كان الطبري يجيد علم النحو ـ علم الإعراب ـ والطبري كان من حذاق النحو وبالأخص نحو المدرسة الكوفية [٢٥] .

رابعاً: الطبري والعلوم الفلسفية

في الجدل كان للطبري قدم في علمه ونجد ذلك واضحاً في تفسيره بشكل خاص ومؤلفاته الأخرى بشكل عام [٢٦] . ويسمى المشتغلون بهذا العلم أهل الجدل [٢٧] وأصبح فيما بعد يطلق على من يخالفون المعتزلة ويتبعون أهل السنّة والجماعة [٢٨] .

أما بالنسبة إلى علم المنطق فهو أحد أجزاء علم الفلسفة وهو ليس بكفر ولو كان كفراً أو بدعة لما نظر الطبري فيه ولتركه [٢٩] .

خامساً: الطبري والعلوم العقلية

كان الطبري قد نظر في الحساب والجبر ، والمقابلة المتعلقة بالحساب والجبر[٣٠] وكذلك كان للطبري إسهامه في الطب [٣١] .

إن هذه العلوم التي تناولها الطبري وألف فيها كان لها ظهور في تفسيره وتأريخه وفي منهجه فيهما ونجد انعكاس علومه الدينية وعلوم اللغة العربية والعلوم الفلسفية والعقلية ، وهذه العلوم والمعارف تعد روافد طبيعية لكتابته .

شيوخ الطبري وتلامذته

شيوخ الطبري :

كان لنبوغ الطبري حافزاً لأبيه على الجد في إكمال تعليمه وحثه على الرحيل في طلب العلم وكان حب للبحث والعلم هو الدافع القوي في مواصلة الطريق وشد الرحال من أجل العلم من بغداد إلى البصرة والكوفة وواسط وإن إنصرافه إلى التفسير وكتابته التأريخ يلزمه كثيراً من الشيوخ . فبفضل هذه الرحلات تيسرت له فيما بعد أسباب جمع مادته العلمية . فرحل إلى مسقط رأسه (آمل) وعمره ١٢ عاماً وابرز شيوخه بالامصار .

أولاً: في الري

وهي من المدن التي أزدهرت في ظل الإسلام .

(أ) أحمد بن حماد الدولابي [٣٢] الذي أخذ عنه الطبري التأريخ [٣٣] .

(ب) محمد بن حميد الرازي (ت ٣٤٨هـ) [٣٤] الذي أخذ عنه الطبري علم الحديث ، الذي كان صاحب شهرة واسعة في علم الحديث والسيرة والمغازي ويقال أن الطبري كتب عن محمد بن حميد أكثر من مئة ألف حديث [٣٥] .

(ج) المثنى بن إبراهيم الآملي : وقد ورد اسمه في تأريخ الطبري وتناول عصر ما قبل الإسلام . فقد أخذ عنه الطبري بالحديث .

(د) أبي مقاتل [٣٦] الخراساني الراوي أخذ عنه الطبري الفقه .

ثانياً: في بغداد

كانت وما زالت قبلة للعلماء ومركز الحضارة والثقافة والعلوم ، فقد حاول الطبري الرحلة إلى (أحمد بن حنبل) في بغداد ليأخذ عنه الفقه لكنه لم يستطع لوفاة (أحمد بن حنبل) سنة ٢٤١هـ . قبل دخول الطبري إلى بغداد .

(أ) الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني [٣٧] ت ٢٧٠هـ .

كان من فقهاء بغداد ومن رجال الحديث وكان راوياً للإمام الشافعي .

(ب) أبي سعيد الاصطخري [٣٨] .

ثالثاً: في البصرة

سمع الطبري من شيوخها لأنها كانت مزدهرة حضارياً وثقافياً وفيها من العلماء ما يشهد لهم التأريخ .

(أ) أبو الاشعث الكندي الراوي [٣٩] وقد ذكره الطبري وكذلك ورد اسمه في تأريخ الطبري .

(ب) بشر بن معاذ [٤٠] . وقد ورد اسمه في تأريخ الطبري ينقل عنه أخبار عن العرب قبل الإسلام .

(ج) عمران بن موسى القزاز [٤١] هو (أبو أسحاق عمران ابن موسى القزاز ت ٣٠٥هـ) .

(د) محمد بن بشار بندار [٤٢] هو (أبو كر محمد بن بشار بن عثمان بن داود العبدي البصري بندر ، ت ٢٥٢هـ) ويعد محدثاً ثقة ، روى عنه البخاري ، مسلم، أبو داود، والطبري [٤٣] .

(هـ) محمد بن عبد الأعلى الصنعاني [٤٤] .

(و) محمد بن المثنى [٤٥] (محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار العنزي أبو موسى البصري ت ٢٥٢هـ) .

(ز) محمد بن موسى الحرشي [٤٦] .

رابعاً: في الكوفة

اشتهرت الكوفة بعلومها الكثيرة والتقى الطبري بعدد من شيوخها :

(أ) إسماعيل بن موسى (أبو محمد إسماعيل بن موسى السري الغزاوي الكوفي ت ٢٤٥هـ) [٤٧] .

(ب) سعيد بن يحيى (ابو سعيد بن يحيى سعيد بن أبان بن العاص الأموي الكوفي) [٤٨] وهو يمثل مدرسة الكوفة في الرواية . وقد ورد أسمه سبع مرات في تأريخ الطبري .

(ج) أبي كريب (محمد بن العلاء الهمداني الكوفي الحافظ أبو كريب ت ٢٤٨هـ) [٤٩] .

(د) هناد بن السري بن مصعب الدارمي التميمي الكوفي ت ٢٤٣هـ) [٥٠] كان زاهداً ومحدثاً وشيخ الكوفة وقد أخذ الطبري عنه الحديث .

خامساً: في الشام

لقد كتب الطبري عن مشايخ وأقام في بيروت مدة التقى بها [٥١] :

(أ) العباس بن الوليد البيروتي المقرىء (العباس بن مسلم بن يزيد العذري الأموي البيروتي المقرىء المحدث ت ٢٧١هـ) [٥٢] .

سادساً: في الفسطاط

التقى الطبري بعدد من شيوخها [٥٣] :

(أ) الربيع بن سليمان (هو أبو سليمان الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل البردي المصري ولد ١٧٤هـ) [٥٤] .

(ب) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم (هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم المصري ولد ١٨٧هـ) [٥٥] .

(ج) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (هو أبو عبد الله محمد بن الحكم المصري ت ٢٦٨هـ) [٥٦] .

(د) يونس عبد الأعلى الصوفي (هو أبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصوفي المصري ت ٢٦٤هـ) [٥٧] .

هؤلاء أبرز شيوخ الطبري إذ كان لهم الأثر الواضح في تكوين شخصيته العلمية وترد اسماؤهم في مؤلفاته في التأريخ والتفسير وعلوم الحديث والقرآن ، فالبعض منهم يتكرر اسمه أكثر من مائتي مرة واحياناً البعض الآخر مرة واحدة .

مما تقدم يتبين لنا أن علوم الطبري متعددة المناحي والمشارب وهذا واضح في كتابه (التأريخ) وكتابه (الكبير والتفسير) .

تلاميذه:

عاش الطبري حياته للعلم والمعرفة ولم يبخل على طلابه من علمه الغزير فكان منهلاً طيباً للعلوم الدينية والتأريخية والأدبية فهو علم كبير وموسوعة أكبر طلابه في بغداد كانوا ينهلوا من علمه الكبير وخلقه الكريم وكذلك الحال في كل الأمصار كانوا يحبونه ويبادلهم الشعور لأنهم حمله علمه وحمله منصبه وكان لا يخص أحد من طلابه إلا بحضور الجميع . كانت تلامذته من مستويات اجتماعية متباينة وكان عادلاً بالتسوية بينهم ، ومنهم :

١- إبراهيم بن حبيب السقطي (هو أبو أسحاق إبراهيم بن حبيب البصري السقطي ت ٣٩١هـ) [٥٨] .
٢- أحمد بن عبد الله الجبي [٥٩] .
٣- أحمد بن كامل (هو القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور البغدادي الشجري ت ٣٥٠هـ) [٦٠] .
٤- أحمد بن يحيى أبو الحسن المنجم (هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم) [٦١] .
٥- ابن أذنوبي [٦٢] .
٦- أبو بكر بن بالويه [٦٣] .
٧- الجعابي [٦٤] .
٨- أبو الحسن الدقيقي الحلواني الطبري [٦٥] .
٩- أبو الحسن بن يونس [٦٦] .
١٠- سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني [٦٧] (هو أبو القاسم سليمان بن احمد ابن أيوب بن مطير النخمي الشامي الطبراني ت ٣٦٠هـ) .
١١- أبو شعيب الحراني [٦٨] .
١٢- ابن أبي العباس بن المغيرة الثلاج (أبو الفرح ابن أبي العباس بن مغيرة الثلاج) [٦٩] .

تلاميذ الطبري كثيرين وذكرنا أبرزهم الذين تتلمذوا على يده في العراق وفي الأمصار التي زارها شرقاً وغرباً فنهجوا منهجه وسلكوا مسلكه فكانوا خريجي مدرسة الطبري [٧٠] فأدى الرسالة خير أداء وتميزت طريقته :

١- إنه كان لا يسمح أن يخص أحد من تلامذته بشيء إلا بحضور الجميع .
٢- لا يسمح أن يقرأ عليه كتاب من أحد تلامذته دون حضور الجميع .
٣- إذا سأله إنسان في كتاب وغاب لم يقرأه حتى يحضر ذلك السائل .
٤- لا يسمح لتلاميذه أن يتخاصموا .
٥- لا يفرق بين تلامذته غنيهم عن فقرهم .
٦- كانت ساعة العلم عنده ساعة جد ومثابرة .
٧- كان يداعب تلامذته في الاستراحات والمناسبات الاجتماعية [٧١] .

لقد إنعكست شخصيته وصفاته وملامحه انعكست عن تلامذته فمنهم:

١- منهم من سلك منهج استاذه في التصنيف .
٢- منهم من نصب نفسه مدافعاً عن منهج استاذه .
٣- منهم من أرخ لحياة استاذه .
٤- منهم من أكمل تأريخ استاذه .
٥- اختلفت علوم تلاميذه باختلاف علوم استاذهم [٧٢]

الهوامش

(١) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٦١/١٨.
(٢) عبد الرحمن حسين العزاوي ، الطبري السيرة والتأريخ، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٨٩) ، ص ٥٧.

(٣) محمد المرعشي ، ترتيب العلوم ، تحقيق نجلاء قاسم عباس ، منشورات مركز احياء التراث العربي ، (بغداد، ١٩٨٤) ، ص ٨٥.
(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٥.
(٥) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٦١/١٨.
(٦) الحوفي ، الطبري ، ص ١٢٧.
(٧) تفسير الطبري ، مطبعة دار المعارف ، ٧٧/١ ـ ٧٩.
(٨) تأريخ الطبري، الأمم والملوك .
(٩) تفسير الطبري ، مطبعة البابي الحلبي ، ٩٣/٣٠.
(١٠) تفسير الطبري ، ٧/١١.
(١١) ابن النديم ، الفهرست ، ٣١ـ ٣٢.
(١٢) ترتيب العلوم ، ٨٩.
(١٣) وفيات الأعيان ، ٣٣٢/٣.
(١٤) طبقات الشافعية ، ١٢٣/٣.
(١٥) وفيات الأعيان ، ١٩١/٤.
(١٦) الأحكام السلطانية ، ٦١.
(١٧) الخطيب البغدادي ، تأريخ بغداد ، ١٦٣/٢.
(١٨) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٧٦/١٨.
(١٩) الخطيب البغدادي ، تأريخ بغداد، ٢١٤/١.
(٢٠) عبد الرحمن حسين العزاوي ، الطبري ، السيرة والتأريخ ، ص ٦٨.
(٢١) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٦٩/١٨.
(٢٢) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٥٣/١٨ـ ٦٠.
(٢٣) رشيد العبيدي ، معجم مصطلحات العروض والقوافي ، مطبعة جامعة بغداد.
(٢٤) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ٦٠/١٨.
(٢٥) نفس المصدر ، ٦٠/١٨.
(٢٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ١٩٤/١.
(٢٧) تفسير الطبري ، ١٩٣/٦.
(٢٨) كريم عواد (الدكتور) ، أفلاطون ، ص ٤.
(٢٩) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٦١/١٨.
(٣٠) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٦١/١٨.
(٣١) المصدر نفسه ، ١٨/ ٤٨ ـ ٤٩.
(٣٢) الدولابي ، هو من أهل دولاب ، وهو (أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي ت ٣١٠هـ) ، المنتظم ، ١٦٩/٦.

(٣٣) تأريخ الطبري ، ١٩٢/٣.
(٣٤) تأريخ بغداد، ١٦٢/٢.
(٣٥) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٤٩/١٨ ـ ٥٠.
(٣٦) المصدر نفسه ، ٥٠/١٨.
(٣٧) تهذيب التهذيب ، ٣١٨/٢.
(٣٨) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٢٢٣/١٠.
(٣٩) تأريخ الطبري ، ١٧٧/٨.
(٤٠) المصدر نفسه ، ٥٠/١٨.
(٤١) الفهرست ، ٢٩١.
(٤٢) تأريخ بغداد، ١٦٢/٢.
(٤٣) الاعلام ، ٢٧٧/٦.
(٤٤) تأريخ الطبري ، ٤٠٠/١٠.
(٤٥) تأريخ بغداد، ١٦٢/٢.
(٤٦) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٥٠/١٨.
(٤٧) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣٠٨/١.
(٤٨) تأريخ بغداد، ١٣٢/١٤.
(٤٩) تذكرة الحفاظ ، ٤٩٧/٢.
(٥٠) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٩١.
(٥١) تأريخ الطبري، ٨١/١.
(٥٢) شذرات الذهب ، ١٦٠/٢.
(٥٣) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٥٢/١٨.
(٥٤) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٦٤.
(٥٥) نفس المصدر ، ص ٢٩١.
(٥٦) شاكر مصطفى ، التأريخ العربي ، ١٦٥/٢.
(٥٧) تهذيب التهذيب ، ٤٤٠/١١.
(٥٨) ابن النديم ، الفهرست ، ١٢، ٢٩٢.
(٥٩) طبقات القراء ، ١٠٧/٢.
(٦٠) ابن النديم ، الفهرست ، ٣٥.
(٦١) ابن النديم ، الفهرست ، ١٦٠ ـ ١٦١.
(٦٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩٢.
(٦٣) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٤٢/١٨.
(٦٤) طبقات القراء ، ١٠٧/٢.

(٦٥) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٩٢.
(٦٦) المصدر نفسه، ٢٩٢.
(٦٧) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٦٩/١.
(٦٨) طبقات الشافعية ، ١٢١/٣.
(٦٩) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٩٢/١٨ـ ٩٣.
(٧٠) ابن النديم ، الفهرست ، ٢٩٢ ـ ٢٩٣.
(٧١) عبد الرحمن حسين العزاوي ، الطبري ، السيرة والتأريخ ، مطابع دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٨٩) ، ص ١١٥.
(٧٢) المصدر نفسه ، ص ١١٥.